إحياء التراث وما تمّ فيه

بقلم عبد السلام هارون

التراث هو تلك الآثار المكتوبة الموروثة التى حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة فوصلت الينا • وليس هناك حدود معينة لتاريخ أى تراث كان • فكل ما خلفه المؤلف بعد حياته من انتاج يعد تراثا فكريا • ولقد أصبح شعر شوقى وحافظ ، وحديث عيسى بن هشام ، وآثار العقاد والمازنى تراثا له حرمته التاريخية ، وله مقداره الأثرى •

تقويم التراث العربى :

ولعل من نافلة القول أن نسهب فى بيان قيمة التراث العربى ، فلقد سبقنا العلماء الأوربيون الى الاعتراف بهذا الفضل ، واستولت عليهم الدهشة ازاء ظهورهم على ما صنع أسلافنا فى مختلف زوايا العلم والمعرفة • فالتراث العربى غنى فى الكيفية وغنى فى الكمية ، ولا تزال آثار هؤلاء الأسلاف فى التشريع والعلوم الفلسفيه والرياضية والفنية وغيرها ، معدودة فى قمة الانتاج الفكرى العالمى ، ولا تزال النظريات الفلسفيه والاجتماعية لعلماء العرب وفلاسفتهم أصلا وجذرا من جذور علم الاجتماع والفلسفة المعاصرة •

وكنت قريبا فى مجلس ضم بعض المشتغلين بالفلسفة فذكر بعض الأساتذة أن أحدث البحوث الفلسفيه الآن أصبح يستخدم الرموز الحرفية فى حل مشاكل الفلسفة ، وأن مسائل الفلسفة أمست شبيهة بمسائل الجبر والمعادلات الرياضيه • فقلت له : ان أسلافنا العرب قد سبقوا فلاسفتنا المعاصرين فى هذا الاتجاه ، وذكرت له أنى قمت بنشر رسالة للرئيس ابن سينا ، عنوانها « الرسالة النوروزية » يتكلم فيها ابن سينا عن فلسفة الوجود مستخدما فى ذلك الرموز الحرفيه (أ ، ب ، ج ، د ، س ، ص •• الخ) • وهذه الرسالة فى ضمن سلسلة نوادر المخطوطات التى قمت بنشرها سنة ١٩٥٤ • فأخذت الدهشة صاحبى من ذلك السبق الفنى العجيب لأسلافنا العرب •

•

وفى التراث العربى كثير من المعجزات الفريدة التى لم تتكرر فى عالم التأليف الى الآن • فكتاب « مقاييس اللغة » لابن فارس ، يعد فريدا فى بابه ، اذ أن ابن فارس استطاع أن يبتدع نظريه لغوية دقيقة ، تتمثل فى ارجاع مفردات كل مادة لغويه الى أصل أو أصلين أو أصول معنوية ، ترجع كل المفردات اليها ، وقام بتطبيق تلك الفكرة على جمهور المواد اللغوية العربية فاستقام له ذلك • ولم نسمع الى الآن بمن قام بمثل هذا المجهود التأليفى فى أى لغة من لغات العالم كانت ، فى قديمها والحديث •

ويكفى أن ترجع الى « كشف الظنون » لتقرأ أسماء نحو مائتى علم أو فن ، كعلم الأكتاف ، والأكر ، والآلات الحربيه ، والآلات الرصديه ، وآلات الساعة، والآلات الظلية ، وعلم انبساط المياه ، وعلم الأوزان والمقادير ، والباه ، والبرد ومسافاتها ، والبيذرة

والبيطرة ، وتحسين الحروف ، وتدبير المدنية ، وتدبير المنزل ، وترتيب العسكر ، وتركيب المداد ، والتصوف ، وتعبير الرؤيا ، والجبر والمقابلة ، والجراحه ، وجر الأثقال ، والجغرافيا ، والجفر ، والجهاد ، والحروف والأسماء ، والحكمة ، والرصد ، والرقص ، والرمل ، والرمى ، والرياضه ، والرياقة ، والزيج والزايرجة ، والسياسه ، والسيمياء ، والشروط والسجلات ، والصيدلة ، والطبخ ، والطلسمات ، والطيرة ، والعدد ، والعرافة ، وعقود الابنية ، والغنج ، والفتاوى ، والفراسة ، والفلاحة ، والفلقطيرات ، والقرانات ، والقرعة ، وقلع الآثار ، وقوانين الكتابة ، وقود العساكر والجيوش ، والكحاله ، وكشف الدك ، والكهانة ، والكيمياء ، ومراكز الأثقال ، والمرايا المحرقة ، والمساحة ، والمعادن ، والمعمى ، والملاحة ، والملاحم ، والموسيقى ، والميقات ، والنبات ، ونزول الغيث ، والنيرنجات ، والوصايا ، والوضع ، والهندسة ، والهيئة . الى كثير جدا مما أغفلت ذكره .

هذه بعض أسماء علومهم ، وفى المكتبات العامة فى العالم ــ وهى تناهز الفا وخمسمائة(1) على ما احصاه الفيكونت فيليب دى طرازى فى كتابه المسمى « خزائن الكتب العربية فى الخافقين » ــ آثار خالدة خلود الأهرام . وهى جديرة بأن يتعاقب المحققون على تمهيد السبيل للانتفاع بها والاستمداد منها .

ومن البديهى أنه يقصد بالتراث العربى ما تركه الأسلاف المتكلمون أو المؤلفون باللغه العربية ، فان الأفق العربى أوسع مجالا وارحب نطاقا من ان يتقيد بالعنصرية العربية الأصيلة .

احياء التراث :

وليس احياء التراث أمرا حديثا ، بل هو عمل طبيعى قامت به الأجيال القديمة على امتداد الدهر وعلى صور شتى ، من نشر ، أو تفسير ، أو تلخيص ، أو نقد أو تعليق .

فكم قد رأينا من الكتب القديمه التى خلفها أصحابها ، فقام النساخ والوارقون باحيائها واذاعتها على نطاق واسع .

فالمقريزى (الخطط ٢ : ٢٥٣ ــ ٢٥٥) يذكر أنه كان فى خزانة العزيز بالله ٣٠ نسخه من كتاب العين و ١٠٠ نسخه من جمهرة ابن دريد . كما يذكر آنه كانت فى خزانه الفاطميين ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبرى .

ويروى ابن النديم (الفهرست ٣٦٩) فى ترجمته ليحيى بن عدى المنطقى النصرانى ، أنه كان ينسخ كتب التفسير والكلام ، مع آنه كان من النصارى اليعقوبية . وهذا أمر عجب . ويذكر أنه لقيه وعاتبه على كثرة نسخه ، فقال له : من أى شىء تعجب فى هذا الوقت من صبرى ؟ قد نسخت بخطى نسختين من التفسير للطبرى ، وحملتهما الى ملوك الأطراف . وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ، ولعهدى بنفسى وأنا أكتب فى اليوم والليلة مائة ورقه وأقل !!

ومن طريف ما يروى عن أحد النحاة ، وهو يحيى ابن محمد الأرزنى ، ما ذكره ياقوت فى شأنه ، اذ يقول : « امام فى العربية مليح الخط، سريع الكتابة، كان يخرج فى وقت العصر الى سوق الكتب ببغداد ، فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب ، ويبيعه بنصف دينار ، ويشترى نبيذا ولحما وفاكهة ، ولا يبيت حتى ينفق ما معه منه » .

ومن الناشرين القدماء ، الذين عملوا فى حقل احياء التراث أبو على محمد بن الحسن بن الهيثم ، المهندس البصرى نزيل مصر ، المتوفى سنة ٤٣٠ . ذكر أنه كان ينسخ فى مدة سنة ثلاثة كتب فى ضمن أشغاله ، وهى اقليدس ، والمتوسطات ، والمجسطى ، ويستكملها فى مدة السنة ، فاذا شرع فى نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين دينارا مصرية، فيجعلها مؤونة لنفسه .

وكانت صناعة الوراقة فى الأمصار العظيمة والبلدان الكبيرة من هذا الوطن العربى بمثابه المطابع الحديثة التى تملأ أمصار بلادنا فى الوقت الحاضر. وكانت مهمة الوراقين موزعة بين الانتساخ والتصحيح والتجليد والتذهيب وكل ما يمت الى صناعة الكتب بصلة (مقدمة ابن خلدون ٣٦٧ ــ ٣٦٨) .

هذا جانب من جوانب احياء التراث قديما . أما الآخر فيتمثل فى شرح ذلك التراث . فنحن نجد أن حماسة أبى تمام المتوفى سنة ٢٣١ تناولها بالشرح أكثر من أديب ، فشرحها أبو بكر الصولى، والمرزوقى، وابن جنى ، والآمدى ، والتبريزى ، وأبو هلال العسكرى ، وابن سيده ، والشنتمرى ، وغيرهم ممن أحصى عددهم صاحب كشف الظنون واحدا وعشرين شارحا . وذكروا أن أول شارح لها هو أبو رياش أحمد بن ابراهيم الشيبانى المتوفى سنه ٣٣٩ .

وكتاب سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ شرحه أو قام بخدمته أكثر من ٥٥ عالما ، منهم السيراقى، والرمانى،

(1) منها فى مصر ١٦ مكتبة وفى الجزائر ٨ وفى فلسطين ٦ ولبنان ٣ وسوريا والعراق والحجاز واليمن ١٥ والمغرب الاقصى ١٠ وتونس ٧ والولايات المتحدة ٢٨٥ والمانيا والنمسا ١٤٥ والاتحاد السوفيتى ١٢٠ وبريطانيا ٧٦ وفرنسا ٦٧ وايطاليا ٤٨ وسويسرا ٢١ وهولنده ١٥ وبلجيكا ١٣ واليابان ٩ والدانمرك ٦ واليونان ٢ والهند ٣ وايران ٣ . وفى هذه المكتبات جميعا نحو ٢٦٢ مليون مجلد .

والزمخشرى ، وابن الحاجب ، والشلوبين ، وابن الباذش(٢) ٠

ومقامات الحريرى أبى محمد القاسم بن على (٤٤٦ ـ ٥١٦) شرحها معاصر له وقرأها عليه ، وهو محمد بن على العراقى المتوفى سنة ٥٦١ ثم تولى شرحها كثيرون ، منهم صدر الأفاضل قاسم بن حسين الخوارزمى (٦١٧) ، وناصر بن عبد السيد المطرزى (٦١٠) ، وأبو البقاء العكبرى (٦١٦) ، وأحمد بن عبد المؤمن الشريشى (٦١٩) له شروح ثلاثه على المقامات : كبير ، واوسط ، وصغير ٠

وكتاب احياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى (٥٠٥) شرحه الزبيدى صاحب تاج العروس (١٢٠٥) وطبع هذا الشرح بفاس سنة ١٣٠٢ فى ١٣ جزءا ثم فى الميمنية سنه ١٣١١ فى ١٠ أجزاء ٠ وقام أخوه أحمد ابن محمد الغزالى (٥٢٠) باختصاره ، واختصره كذلك أبو العباس الموصلى (٦٢٢) اختصارين ، كما اختصره السيوطى (٩١١) ٠ وآخر اختصار له الى الآن ما نشره عبد السلام هارون باسم « تهذيب احياء علوم الدين » فى مجلدين ٠

تلك بعض النماذج للمحاولات القديمة التى كانت تعمل على احياء التراث أو استحيائه على تطاول العصور ، لم يخل دهر من طائفة صالحة كانت تعمل فى هذا المضمار ٠

احياء التراث فى العصور الحديثة :

أما احياء التراث فى هذه العهود الحديثة فقد لبس ثوبا جديدا يمتاز بالنشاط السريع الذى يتمثل فى انتاج المطبعة الحديثة ، فهى كانت عاملا فعالا فى نشر التراث الفكرى على نطاق أوسع وعلى صور شتى ، ودرجات مختلفه من الصحه والتوثيق ، ومراحل متدرجة من الدقة والعناية حتى وصلت الى ما يشبه القمة فى عصرنا الحاضر ٠

واذا تحدثنا عن المطبعه رجع بنا التاريخ الى سنة ١٤٥٠ التى طبعت فيها التوراة بعد أن ابتدع جوتنبرج الألمانى ، « المطبعة » ٠

أما الطباعه العربية فكان مهدها الأول فى ايطاليا فى أوائل القرن السادس عشر ، اذ ظهرت أول مطبعة عربيه فى مدينة فانو بأمر البابا يوليوس الثانى وافتتحها ليون العاشر سنة (١٥١٤) ٠ ومن أوائل ما طبع فيها سفر الزبور (١٥١٦) ٠ ثم مطبعة البندقيه وفيها طبع القرآن الكريم للمرة الأولى ، وبعد ان تم طبعه صودرت نسخه وقضى عليها بدافع تعصبى ، ثم طبعت أول ترجمة ايطاليه للقرآن سنة ١٥٤٧ ٠

(٢) انظر مقدمة سيبويه ص ٣٦ ـ ٤١ تحقيق عبد السلام هارون ٠

وفى مطبعة روما (١٥٩٣) طبع « قانون ابن سينا » فى الطب ، ومعه علم المنطق ، وعلم الطبيعى وكتاب النجاة له أيضا(٣) ٠ فكان صدور هذا الكتاب بدايه عهد جديد فى دراسه الطب ٠

ثم تعددت المطابع العربيه فى أوروبا وطبع فيها مئات من الكتب العربية والشرقية ، أكثرها فى لندن وباريس ، وليبزج ، وليدن ، وغوتبجن ، وروما ؛ وفينا ، وبرلين ، وبطرسبرج ٠

ثم تعددت المطابع العربية فى أوربا وطبع فيها فى أوائل القرن (١٦) اذ طبعت فيها التوراة العربية ترجمة سعيد الفيومى بالأحرف العبرانيه ، أى العبريه وذلك فى سنة ١٥٥١ ٠

وفى القرن الثامن عشر ظهرت الطباعة العربيه فى كل من الآستانة وسوريه ولبنان ٠

ففى سورية طبع الانجيل وطائفة من الكتب المسيحية ابتداء من سنه ١٧٠٢ ٠

●

أما فى تركيا فكان القوم فى حال تردد فى طبع كتب الحكمة واللغه والتاريخ والطب والفلك التى لم يجرؤ أحد على طبعها الا بعد ظهور فتوى من شيخ الاسلام عبد الله أفندى سنة ١٧١٦ بجواز ذلك ما عدا الكتب الدينية ، التى استصدرت فتوى أخرى بعدها لاجازة طبعها ٠ وتعددت المطابع فى الآستانة فكان أشهرها مطبعة الجوائب لأحمد فارس الشدياق، ونشر فيها الى جانب جريدة الجوائب طائفة صالحة من الكتب العربية ٠

وتلتهما فى ذلك لبنان ٠ وكان من أقدم مطابعها مطبعة فرحيا ، بدأت بالحروف السريانية ثم انتقلت الى العربيه وكان اهتمامها بالمطبوعات الدينية ٠ ومطبعه الشوير التى أسسها عبد الله زاخر ، وكانت معظم منشوراتها من الكتب الدينية كذلك ٠ ثم ظهرت مطبعة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس فى بيروت سنة ١٧٥٣ وطبعت كثيرا من كتب الأدب والتاريخ، ثم المطبعة الأمريكية للمبعوثين الأمريكان، أنشئت فى مالطة سنة ١٨٢٢ ثم نقلت الى بيروت سنة ١٨٣٤ وطبعت كثيرا من الكتب المدرسية وطائفة من كتب الأدب والتاريخ ودواين الشعر ٠ ثم المطبعه الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٨٥٤ فكان لها فضل عظيم فى نشر كثير من أمهات التراث العربى سنفرده بالذكر ٠ ثم المطبعة السورية لخليل الخورى صاحب حديقة الأخبار أنشأها سنة ١٨٥٧ واعتنت بطبع كتب القانون والأدب والتاريخ ٠ ثم

(٣) انظر وصف تلك الطبعة وسلسلة الطبعات التى بعدها فى معجم سركيس ١٣٠ ـ ١٣١ ٠

مطبعة المعارف للبستانى (بطرس بن بولس) سنة ١٨٦٧ وهى التى قامت بنشر دائرة المعارف له ثم لولده سليم ، وكذا محيط المحيط ، وقطر المحيط .

اما مصر فان أقدم مطبعه ظهرت فيها هى مطبعة الحملة الفرنسية التى أحضرها نابليون معه سنة ١٧٩٨ لطبع المنشورات السياسية والأوامر باللغة العربية ، وكانت تعمل وهى على السفينه فى عرض البحر ، وحينما اقتحمت هذه الحملة ثغر الاسكندريه قام رجالها بتوزيع المنشورات التى أعدوها فى البحر ، وأطلق على تلك المطبعه اسم « المطبعة الأهليه » ، ثم نقلت الى القاهرة واستمرت فى عملها الى سنة ١٨٠١ حيث تم انسحاب الفرنسيين . ومن أظهر انتاجها كتاب فى الهجاء باللغات العربية والتركية والفارسية .

ومرت فترة من الزمن زهاء عشرين سنة بقيت مصر فيها بلا مطبعة حتى استقر الأمر لمحمد على فأنشأ مطبعة على أنقاض المطبعه الأهلية الفرنسية ، وسميت بالمطبعة الأهلية أيضا وذلك فى سنة ١٨٢١ ثم نقلت الى بولاق فعرفت بمطبعة بولاق ، وعهد بادارتها الى نقولا مسابكى السورى ، وكان هذا قد بدأ دربته الفنية على الطباعه فى روما زهاء اربع سنوات لصنع أمهات الحروف وسبكها . وكان محررو مطبعه بولاق من الطلبه الأزهريين الذين دربوا لذلك تدريبا خاصا استغرق نحو ست سنوات . ومن ألمع نظار مطبعة بولاق حسين حسنى (باشا) الذى بدأ أمره مصححا وكاتبا بالتركية فى الوقائع المصرية سنه ١٨٥١ ثم عمل فى المطبعة الى أن ولى نظارتها سنة ١٨٨٠ . وهو أول من أنشأ مصنعا للورق فى مصر ، اذ كان معظمه قبل ذلك يستورد من ايطاليا .

وقد استمرت مطبعة بولاق فى عملها أكثر من ٩٠ سنة لم تركد فى أثنائها الا بضع سنوات فى الفترة التى انقضت بين عهد محمد على واسماعيل ، وكان نشاطها ظاهرا فى طبع مئات من الكتب العربية فى الطب والرياضة والطبيعة والفنون الحربية والتاريخ والأدب والشعر والتفسير والحديث وغيرها . وهذه المطبعة هى نواة المطبعة التى عرفت منذ عهد قديم باسم المطبعة الأميريه . وظهرت الى جانبها مطبعتان حكوميتان أخريان احداهما فى طرة ، والأخرى فى أبى زعبل .

●

أما المطابع غير الأميرية فلم تظهر الا بعد مضى نحو أربعين سنة من انشاء مطبعه بولاق ، وأولها المطبعة الأهلية القبطية التى عرفت فيما بعد بمطبعة الوطن ، أنشئت سنه ١٨٦٠ بعد أن تدرب عمالها فى مطبعة بولاق باذن من سعيد باشا . ومن أقدم المطابع الأهلية كذلك مطبعة وادى النيل ١٨٦٦ طبعت فيها صحيفة وادى النيل التى انشأها صاحبها أبو السعود أفندى . ومطبعة جمعيه المعارف . ثم تعددت المطابع فى عهد عباس الثانى فى القاهرة وفى سائر العواصم المصرية كالاسكندريه وبورسعيد وطنطا وأسيوط والمنصورة .

وظهرت كذلك مطابع عربيه أخرى فى بلاد غير عربيه ، ومنها مطابع كلكتا وبمباى ، ودهلى ، ولاهور، ولكناو ، وحيدر أباد فى الهند . وكان لهذه الأخيرة فضل كبير فى نشر موسوعات من التراث العربى .

هذه نظرة خاطفة الى تاريخ الطباعه العربية فى عصورها الأولى . أما فى الحديث فان الحصر لا يحيط بعدد المطابع المنتشرة فى العالم العربى والغربى ، التى تقوم فيما تقوم به على احياء التراث العربى ، ولعل ابرزها جميعا مطبعة دار الكتب المصرية ، ومطبعة دار المعارف ، ومصطفى الحلبى ، وعيسى الحلبى .

جهود المستشرقين :

ان الجهد العلمى الذى بذله المستشرقون فى احياء التراث العربى جهد لا يستطاع انكاره ، فهم كانوا أساتذة الجيل الحاضر فى الطريقة العلميه التى جروا عليها . وأعود لأقول ان تحقيق النصوص وتوثيقها فن عربى أصيل ، يتجلى فى معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث واللغه والشعر والأدب والتاريخ فى دقة وأمانه ونظام بارع ، ولكن المستشرقين تبنوا احياء هذا الفن فى هذه العصور القريبة ، ونبغ من بينهم علماء أمناء ، قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربى ، على الوجه الأمثل ، ومنهم :

وستنفلد الألمانى : Ferdinand Wustenfeld : ١٨٠٨ ـ ١٨٩٩ الذى الف وحقق نحو مائتى كتاب بين صغير وكبير(٤) .

وبيفان الهولندى : Bevan ١٨٥٩ ـ ١٩٣٤ ناشر نقائض جرير والفرزدق ، وتحقيقه لها وتفسيره للألفاظ التى لم ترد فى المعاجم مما يذكر له بالتقدير .

ولايل الانجليزى : Charles Lyall ١٨٤٥ ـ ١٩٢٠ محقق شرح المفضليات لابن الأنبارى مع ترجمه شعريه لها باللغة الانجليزية !

وجاير الألمانى : Rudolf Geyer ١٨٦١ ـ ١٩٢٩ محقق ديوان الأعشى فى عنايه فائقة وتخريج مستفيض .

---

(٤) معجم المطبوعات لسركيس ، النهر ١٩١٧-١٩١٨ .

ولا تستطيع هذه العجالة أن تجلو صفحة هؤلاء المستشرقين ، ولكن كتاب « المستشرقون » لنجيب العقيقي (وهو كتاب ضخم فى ١٤١٤ صفحة) أعيد طبعه فى العام الماضى ،هذا الكتاب كفيل بأن يبين ضخامة الجهود التى قام بها هؤلاء المستشرقون .

ولعل من أروع محاولاتهم فى احياء التراث ونقله الى داخل لغتهم ما قام به المستشرق العبقرى الدكتور ج. يان : D. Gustave Jahn من ترجمته نص كتاب سيبويه كاملا الى اللغة الألمانية، مع اضافات وتعليقات بالعربية مقتبسة من شروح السيرافى والشنتمرى وغيرها ، وظهرت تلك الترجمة فى خمسة مجلدات ضخمة من سنة ١٨٩٥ ــ ١٩٠٠ .

جهود مطبعة بولاق :

أما جهود مطبعة بولاق فتبدو واضحة فى نشر أمهات كتب التراث ، أمثال صحيح البخارى ، وخزانة الأدب ، والأغانى ، ولسان العرب ، وصحاح الجوهرى ، والقاموس المحيط ، وكتاب سيبويه ، والمخصص لابن سيده ، وشرح الحماسة للتبريزى ، وشرح المقامات للشريشى ، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان وصبح الأعشى ، وكثير غيرها من أمهات الكتب . ولست أدرى ماذا يكون الوضع لو لم تبكر هذه المطبعة بنشر تلك الكتب واذاعتها ، اذن لتغير وجه الثقافة العربية المعاصرة التى لا تزال مهتزة ازاء لطمات الاستعمار المتوالية ، وازاء الدس الثقافى الذى لا يزال طائفة من أبناء أمتنا العربية فى دوار من بريقه الكاذب !!

ويحفظ التاريخ لنا أسماء شيوخ عظام كانوا يقومون ــ فى امانة ــ باخراج تلك الكتب على قدر طاقتهم العلمية ومنهجهم الساذج فى الاخراج ، منهم : الشيخ نصرالهورينى ،والشيخ قطة العدوى، والشيخ محمد الحسينى ، والشيخ طه محمود ، والشيخ محمد عبد الرسول (٥) ، وغيرهم .

دار الكتب المصرية :

وأما دار الكتب المصريه فاليها يرجع الفضل الأخير فى القدوة المثالية للمحققين المعاصرين. ولعل أول نافخ فى بوق احياء التراث العربى على النهج الحديث هو المغفور له أحمد زكى باشا الذى قام بتحقيق كتابى أنساب الخيل لابن الكلبى ، والأصنام لابن الكلبى أيضا ، وقد طبعا فى المطبعة الأميرية سنه ١٩١٤ باسم لجنة احياء الآداب العربية التى عرفت فيما بعد باسم القسم الأدبى ، ولعل هذين الكتابين مع كتاب التاج للجاحظ الذى حققه أيضا من أوائل الكتب التى كتب فى صدرها كلمة « بتحقيق » . كما أن تلك الكتب قد حظيت باخراجها على أحدث المناهج العلميه المتحقيق ، مع استعمال المكملات الحديثة من تقديم النص الى القراء، ومن الحاق الفهارس التحليلية . يضاف الى ذلك أنه أول من أشاع ادخال علامات الترقيم الحديثة فى المطبوعات العربيه ، وألف فى ذلك كتابا سماه « الترقيم فى اللغة العربية » طبع فى بولاق فى زمن مبكر جدا هو سنة ١٩١٣ وان كان يؤخذ عليه أنه كان يبالغ فى استعمال تلك العلامات ، ولا سيما فى الشعر الذى كان يختتم كل بيت مستقل فيه بنقطة يضعها فى نهايته .

ومن أوائل مطبوعات دار الكتب صبح الأعشى للقلقشندى فى ١٤ مجلدا سنة ١٩٢٠ بالمطبعة الأميرية باسم دار الكتب . وتعد هذه الطبعة هى الطبعة الثانيه ، اذ طبع قبل ذلك فى مطبعة بولاق سنة ١٩٠٥ .

ثم نهاية الأرب الذى بدأت طبعه محققا سنة ١٩٢٣ بمطبعتها .

وكانت الصيحة الداوية لدار الكتب تبنيها لطبع كتاب الأغانى لأبى الفرج باشراف القسم الأدبى الذى كان يرأسه المغفور له أحمد زكى العدوى بناء على اقتراح السيد على راتب الذى تكفل بنفقات طبعه ، وصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٢٧ وحظى بعناية كاملة فى اعداد الأصول وصنع الفهارس التحليلية فى نهاية كل جزء من أجزائه ، واستمرت دار الكتب فى مهمتها تنشر موسوعات التراث ، ومنها النجوم الزاهرة وتفسير القرطبى ، ثم ضعفت العناية بهذا القسم الى أن تولى الأستاذ أمين مرسى قنديل ادارة دار الكتب فقام بمجهود ضخم جدا لمسته بنفسى اذ حاول أن ينقذ هذا القسم من الفناء فدبت الحركة فيه ، وحاول أن يخلص كتاب الأغانى من ورطته التاريخية فعهد الى بعض العلماء باتمام ما بقى من أجزائه ، ولكن الظروف لم تسعفه بتنفيذ فكرته النشيطة ، وكاد القسم الأدبى فى عهده أن يرتقى القمة فى نشر موسوعات التراث ، ولكن أطاحت بذلك فكرة خاطئة مغرضه تزعم أن ليس من وظائف دور الكتب فى أوربا أن تضطلع بنشر التراث ، وكأننا فى جميع خطواتنا انما نترسم أوربا فى حقها وباطلها .

وفى أسف بالغ ودع المثقفون هذا القسم الأدبى الذى قضى على نشاطه بعد عهد أمين مرسى قنديل ــ أطال الله فى عمره ــ ولم يبق من أعلامه وعلمائه الا وشل يقوم باعادة طبع ما كان قد طبع من قبل .

(٥) كان رحمه الله آية فى العالم والفضل . وكان رئيسا للمصححين بالمطبعة الاميرية ثم مغيرا أول بدار الكتب . وقد رأيته فرأيت فيه رجلا فاضلا .

ويعد الغاء هذا القسم جريمة لا تغتفر فى حق احياء التراث العربى ، ويجب كل الوجوب أن يبعث ثانيا ليؤدى رسالته التى لا يستطيع أداءها غيره ، نظرا الى وفرة المراجع المخطوطة والمطبوعة ، وامكان تجنيد طائفة من العلماء واعداد جيـل يتلقى فن التحقيق بوجه عملى فى رحاب دار الكتب ، هذا الى اليسر الذى يجب أن تقدمه مطبعة دار الكتب لهذه الهيئة .

هيئات ومؤسسات نشر الكتب :

ومن أبرز هذه الهيئات :

المكتبة الميمنية :

أنشأها السيد أحمد البابى الحلبى المتوفى سنة ١٨٩٩ وتاريخ انشائها سنة ١٨٥٨ أى منذ أكثر من مائة عام . وكان منشىء هذه المكتبة عالما فاضلا له تقريرات على حاشية الشجاعى على شرح القطـر لابن هشام . وهو عم مصطفى وعيسى وبكرى البابى الحلبى . وقد نشر طائفة من كتب التراث .

دار الكتب العربية الكبرى :

وبعد وفاته استمرت المكتبة باسم (دار الكتب العربية الكبرى) وتولى ادارتها أبناء أخيه مصطفى وبكرى وعيسى وقتا طويلا . وظلت الدار واحدة حتى تفرعت فى سنة ١٩٢٨ الى فرعين عرف أحدهما باسم (مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده) ، والآخر باسم (دار احيـاء الكتب العربية) بادارة السيد عيسى البابى الحلبى .

مكتبة مصطفى البابى الحلبى :

ولها قسط وافر فى احيـاء التـراث . ومن منشوراتها : رسالة الشافعى بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ، وسيرة ابن هشام بتحقيق السقا والأبيارى وشلبى ، والحيوان للجاحظ فى سبعة مجلـدات بتحقيق كاتب هذه السطور ، وعشرات أخرى من كتب التراث . ولا تزال تعنى بأداء رسالتها فى هذه الزاوية الخطيرة .

دار احياء الكتب العربية :

ولها نشاط ظاهر ملموس فى احياء التراث ، بل يكاد يكون هذا هو طابعها الغـالب . وفى عهـد مديرها السـيد محمد عيسى الحلبى نشرت جمهـرة عظيمة من التراث ، منها المزهر للسيوطى ، وأمالى المرتضى ، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، وزهر الآداب للحصرى ، والبرهـان فى علوم القـرآن للزركشى ، والموشح للمرزبانى ، ومقاييس اللغـة لابن فارس ، ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ، وعدد آخر من كتب التراث يطول احصاؤه .

جمعية المعارف ١٨٦٨ م :

كونها محمد عارف باشا عضو مجلس الأحكام ، وقام ابراهيم المويلحى بانشاء مطبعة سماها باسم هذه الجمعية ، فكانت كتبها يطبع أغلبها فى هذه المطبعة ، وبعضها فى غيرها من المطابع . ولعل هذه الجمعية أول جمعية مساهمة لنشر الكتب ، وكان مقابل السهم فيها ثلاثين قرشا وعدد أسهمها ٣٠ ألف سهم . وقد نجحت فى أداء مهمتها اذ نشرت طائفة من أمهات الكتب ، منها أسد الغابة لابن الأثير فى خمسة مجلدات ، وكتاب ألف باء للبلوى فى مجلدين ، وتاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدى فى عشرة مجلـدات ، وتاريخ ابن الوردى فى مجلدين(٦) .

المطبعة الكاثوليكية للآباء المرسلين اليسوعيين فى بيروت :

وفى وقت مبكر ظهرت جهود الآباء اليسوعيين فى بيروت ، اذ نشر كتاب النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى، بتحقيق سعيد الخورى الشرتونى اللبنانى سنة ١٨٩٤ وتهذيب الألفاظ للتبريزى بتحقيق الأب لويس شيخو سنة ١٨٩٥ واستمرت جهـودهم فى النشر زمنا ليس بالقصير . ولا تزال المطبعة الى وقتنا هذا تمارس نشاطها وتنشر كثيرا من تحقيقـات المستشرقين .

شركة طبع الكتب العربية :

تكونت سـنة ١٨٩٨ م وكان من أبرز أعضائها حسن عاصم ، وأحمد تيمور ، وعلى بهجت . ومما نشر فيها « الموجز » فى فقه الشافعية ، وسـيرة صلاح الدين لابن شداد ، وهى المسـماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، وفتوح البلـدان للبلاذرى .

لجنة نشر المخصص سنة ١٩٠٢ :

وتكونت لجنة لنشر « المخصص » لابن سيده فى ١٧ مجلدا ، وكان من أبرز أعضائها الشيخ محمـد عبده وكان مفتيا فى ذلك الوقت ، وحسن عاصم ، وعبد الخالق ثروت الذى أصبح فيما بعد رئيسا للوزراء ، ومحمد النجارى . وقام بتصحيحه والتعليق عليه الامام الشنقيطى الكبير ، ونظر فى أوله كذلك

(٦) أنظر تاريخ ابن الوردى ٢ : ٣٦٦ – ٣٦٨ لترى بعض أوجه نشاط هذه الجمعية .

الشيخ محمد عبده ، واستغرق طبعه ست سنوات . وهو كتاب جليل يحتـــاج الآن الى اعادة نشره مع اضافة الفهارس الفنية التى يتطلبها .

جمعيـــة المستشرقين الألمانيــــة بتركيـــا سنة ١٩١٨ :

ويرجع تاريخها الأول الى ســـنة ١٨٤٥ حيث أسست فى ألمانيا فى مدينه هاله ، ثم أنشأت فروعا لها فى الشرف ، أهمها فرع الآستانة سنة١٩١٨ تولى الاشراف عليه وتأسيس مكتبته المستشرق هلمـــوت ريتر ، وقام مع غيره بنشر طائفة من كتب التراث الهامة ، منها مقالات الاسلاميين للأشعرى ، والوافى بالوفيات للصفدى بتحقيـــق ريتـــر ثم ديدرنج ، والمحتسب لابن جنى بتحقيق برجستراسر .

ثم فرع القاهرة الذى سمى بمعهد الآثار ، وكان يديره رويمر الذى حقق الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر للداودى .

ثم معهد الدراسات الشرقية فى بيروت ســـنة ١٩٦٠ . ومن جهوده اعادة نشر الجزء الأول من الوافى بالوفيات للصفدى ، وطبقات المعتزلة بتحقيق السيدة فليتسر دى فالد من معهد استانبول ، وكتاب النحاة للمرزبانى بتحقيـــق سلايم من جامعـــة فرانكفورت .

مكتبة الخانجى :

وممن لهم يد طولى فى اذاعة التراث العربى السيد محمد أمين الخانجى ، وفيه يقول أحد أدبائنا : « وقل أن تجد عالما أو أديبا فى زمنه لم يكن لهـــذا الرجل النحيف الضئيل فضل عليه ، يذكره الذاكر محسنا فى ذكره ، وينساه النـــاسى مســـيئا فى نسيانه . ذلك هو أمين الخانجى، الذى احب الكتاب العربى كأنه تراث أبيه وأمه » (٧) .

وقد رأيت هذا الرجل فى صـــباى وعرفت فيه الاخلاص للعلم وحده اذ لم يكن المال عنده الا فى المرتبه الثانية ، كما لمست فيه التفـــانى فى نشر التراث العربى لا يكاد يعترف بغيره . وقد قدم الى قارىء العربية مجموعة ضخمه من كتب التراث ، يكفى أن نذكر منها معجم البلدان لياقوت ، وذيلـــه عليه الذى سماه « منجم العمران » . وكذا حليـــة الأولياء لأبى نعيم ، وبدائع الصنائع فى ٧ مجلدات ، والاصابة لابن حجر فى ٨ مجلدات ، والعقد الفريد ، واللزوميات لأبى العلاء ، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ، وتيسير الوصول الى جامع الوصول لابن الربيع الشيبانى وقد قام بتحقيقه والدى الشـــيخ محمد هارون رحمه الله .

(٧) مقدمة طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٥ .

ومن المعروف عنه أنه رحل الى العراق وغيرها من البلدان العربية ، وعاد من رحلته سنة ١٩٢٥ جامعا لنوادر المخطوطات التى لا يقدرها اثمن . وكان له ذوق مبكر فى منهج نشر الكتب وترقيمها واختيار الصالح منها للنشر ، وهو وان لم يكن العالم كل العالم فانه كان ذواقة لما يحتاج اليه المثقف العربى .

وبعد وفاته فى سنة ١٩٢٨ قام مقامه ولده محمد نجيب الخانجى وورث عنه الرغبة الملحه فى احياء التراث عن صدق لمسته فيه من طول صحبتى له . ومن منشوراته مما حققه كاتب هذه السطور البيان والتبيين للجاحظ ، والاشتقاق لابن دريد ، ورسائل الجاحظ ، ونوادر المخطوطات فى مجلدين وهى ٢٥ كتابا ورسالة . ومما حققه غيرى : صون المنطق ، وطبقات الصوفية للسلمى ، كما أســـهم فى نشر الصلة ، وتكملة الصله ، وصلة الصله وغيرها .

المكتبة السلفية :

أنشأها الأســـتاذ محب الدين الخطيب ، وعبد الفتاح قتلان سنة ١٩٢٠ ثم استقل بها محب الدين الخطيب ونشر كثيرا من كتب السلف ، منها أدب الكاتب لابن قتيبة سنة ١٩٢٧ وقد اشتركت معه فى اخراجه وتتلمذت عليه فى ذلك الوقت حينما كنت طالبا فى تجهيزية دار العلوم ، فهو كان أستاذى الأول فى ذلك ــ ملأ الله فى حياته .

ومما نشره لأول مرة كتاب الميسر والقداح لابن قتيبه ، وصنع له فهـــارس فنية فى ذلك الوقت المبكر ، وكذا كتاب الموشح المرزبانى .

ونشر كذلك كتاب الملاحن لابن دريد ، والثلث الأول من كتاب خزانة الأدب ، وظهر هذا الثلث فى أربعة أجزاء بتحقيقى واضافه تعليقـــات لأحمـــد تيمور باشا وعبد العزيز الميمنى الراجكوتى . وكنت لا أزال اذ ذاك طالبا فى دار العلوم .

لجنة التأليف والترجمة والنشر :

وكانت نواتها طائفة من طلبة مدرســـه المعلمين العليا ومدرسة الحقوق ، يقول فيهم الدكتور أحمد أمين(٨) : « طائفة من الشباب تمتلىء نفوسهم غيرة على العالم الاسلامى ، ويطيلون التفكير فى وسائل اصلاحه والنهوض به ، ألف بين أفرادها الشعور بالألم من موقف الشرق وخموله ، والايمان بوجوب العمل على تنبيهه والأخذ بيده ورفع مستواه » . ومنهم أمين مرسى قنديل ، وعبد الحميد العبادى ، ومحمد بدران ، ومحمد صبرى أبو علم . وكان كل عضو منهم يسهم بعشرة قروش فى كل شهر ، ثم

(٨) انظر كتاب لجنة التأليف والترجمة والنشر فى عشرين عاما اصدار اللجنة سنة ١٩٣٤ .

جعل ثمن السهم جنيها واحدا . وتولى رياستها الأستاذ أحمد أمين فظهر نشاطها فى احياء التراث ، ونشرت السلوك للمقريزى بتحقيق الدكتور زيادة سنة ١٩٣٤ ثم المختار من شعر بشار للخالديين ، وغيره من نفائس التراث كالعقد الفريد ، ومعجم ما استعجم للبكرى بتحقيق مصطفى السقا ، وشرح الحماسة للمرزوقى بتحقيق عبد السلام هارون(٩) .

دار المعارف :

ولم تأخذ دورها فى احياء التراث بصفة الجدية الا فى سنة ١٩٤٢ حين فكرت أنا وأخى المغفور له الشيخ أحمد شاكر فى نشر مجموعات من عيون الشعر سميناها « ديوان العرب » ، وبدأنا فى نشر المفضليات ثم الأصمعيات . ثم اقترحنا على دار المعارف أن تخصص نشرا منظما لعيون التراث العربى ، فسرعان ما استجابت لهذا الاقتراح ، وأذكر ان لم تخنى الذاكرة ان الدار قد أعلنت عن مسابقة لتسمية هذا المشروع ففاز به عنوان «ذخائر العرب» ، يشترك فى تحقيقها علماء الشرق والغرب ، وكان باكورة هذه المجموعة كتاب « مجالس ثعلب » فى مجلدين بتحقيق عبد السلام هارون ، واصلاح المنطق لابن السكيت بتحقيقه مع الشيخ احمد شاكر ، والطبعة الأولى من « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم تحقيق ا. ليفى بروفنسال E. Levi Provençal

وتوالى بعد ذلك نشر طائفة من تلك الذخائر التى بلغت الآن ٣٩ كتابا منها ما هو فى أكثر من عشرة مجلدات .

ولا تزال تلك المجموعة فى تزايد ونجاح مطرد وان كانت قد أبطأت دلاؤها فى الفترة الأخيرة .

جهود فرج الله زكى الكردى :

وقد أنشأ مطبعة سماها مطبعة كردستان العلمية بدأت نشاطها نحو سنة ١٩١١ ونشر طائفة من كتب التراث على منهج علمى مقارب ، منها كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .

جهود محمد منير الدمشقى :

وكان يميل الى نشر موسوعات التراث ، وقد نشر عمدة القارى للعينى ، وشرح المفصل لابن يعيش ، وتفسير الآلوسى ، والكامل فى التاريخ لابن الأثير وكثير غير ذلك .

جهود حسام الدين القدسى :

وهو ناشر معاصر لا يزال يوالى نشاطه فى احياء التراث فى صورة مكافحة ، ويقوم الآن بنشر تاريخ الاسلام للذهبى الذى أخرج منه خمسة أجزاء ، ولو قد وجد عونا من أولى الأمر لأتم هذه المهمة الجليلة التى بدأها منذ عهد قديم ، ولكن الرجل مغمور مع أنه جدير بأن يلقى من التشجيع ما يمكنه من أداء رسالته . ولقد سمعت أنه ينسخ الكتاب بنفسه ، ثم يجمع حروفه بيده ، ثم يصححه ، ثم يدفع به الى المطبعة(١٠) ، ويكفى أن نذكر من جهوده نشر شذرات الذهب لابن العماد ، والضوء اللامع للسخاوى ، ومجمع الزوائد للهيثمى ، وديوان المعانى للعسكرى ، واللباب فى تحرير الأنساب ، وذيول تذكرة الحفاظ .

جهود جامعة القاهرة :

ومن أقدم منشوراتها « الذخيرة » فى علم الطب لثابت بن قرة تحقيق جورجى صبحى سنة ١٩٢٨ ومنتخب جامع المفردات للغافقى تحقيق ماكس مايرهوف وجورجى صبحى سنه ١٩٣٢ ، ونقد النثر لقدامة تحقيق طه حسين والعبادى سنة ١٩٣٣ ، ورسائل فلسفيه للرازى تحقيق بول كراوس سنة ١٩٣٨ وبعض أجزاء من الذخيرة لابن بسام تحقيق عبده عزام ، وعبد العزيز الأهوانى ، وخليل عساكر وعبد القادر القط سنة ١٩٣٩ – ١٩٤٥ وكتاب الاصل للامام محمد بتحقيق شفيق شحاته سنة ١٩٥٤ والسير الكبير له تحقيق محمد أبو زهرة ومصطفى زيد سنة ١٩٥٨ .

المجمع اللغوى بالقاهرة :

أنشىء سنة ١٩٣٤ ولم تظهر له جهود فى احياء التراث العربى ، اللهم الا بعض اقتراحات نفذ بعضها فى خارج المجمع ، ومنها اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج ، وتهذيب اللغة للأزهرى ، وكتاب سيبويه . ومحاوله أخرى فريدة لتشجيع احياء التراث ، اذ أعلن فى سنة ١٩٤٩ عن مسابقة أدبية لمحققى التراث ، ظفر فيها كاتب هذه السطور بالجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى عن كتابيه : (الحيوان للجاحظ) ، و (مجالس ثعلب) . كما ظفر كتابان آخران بالجائزة الثانية ، هما (رسالة الغفران) ، و (كتاب البخلاء للجاحظ) . ولم تكرر هذه المسابقة مرة أخرى .

---

(٩) من الخطا التاريخى أن ينسب تحقيقه الى الاشتراك بينى وبين الاستاذ احمد أمين . وانظر لذلك كلام الاستاذ أحمد أمين نفسه فى مقدمة ص ٥ وكلامى كذلك فى ص ٢٤ .

(١٠) مما يسجل مشابها لهذا العمل ماقام به المستشرق الاسبانى قديره فرنسسكو مع زميليه اللذين قاما باخراج المكتبة الاندلسية نسخا وتحقيقا وجمعا وطبعا .

المجمع العلمي العربي بدمشق :

أنشيء سنة ١٩١٩ ونشر في مجلته بعض كتب التراث ، منها نشوار المحاضرة ، وبحر العـوام ، وديوان الوليد بن يزيد . كما قام بنشر كتب أخرى مستقلة ، منها رسالة الملائكة لأبي العلاء ، وديوان ابن عنين ، والأشربة لابن قتيبه ، وديوان علي بن الجهم ، وديوان الوأواء ، وديوان ابن حيـوس ، وثلاثة أجزاء من الخريدة في شعر الشام .

مديرية احياء التراث القديم بوزارة الثقافة والارشاد القومي بسوريا :

وقد بدأت نشاطها سنة ١٩٦٠ بنشر ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي بتحقيق عزة حسن ، وكتاب المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني بتحقيق عزة حسن أيضا .

المجمع العلمي العراقي :

وظهرت جهوده في تقديم المساعدات المالية لنشر المخطوطات ، منها كتاب الديارات للشابستي الذي عني بتحقيقه كوركيس عواد ونشر سـنة ١٩٥١ ، ورسوم دار الخلافة لأبي الحسين الصابي بتحقيق ميخائيل عواد سنة ١٩٦٤ ، وخريدة القصر (قسم العراق) .

مديرية الثقافة العامة بالعراق :

وقد بدأت العام الماضي بنشر (سلسـلة كتب التراث) ظهر منها : الدر النقي في علم الموسيقى للقادري الرفاعي الموصلي بتحقيق الشـيخ جلال الحنفي ، وديوان عدي بن زيد العبادي تحقيق وجمع محمد جبار المعيبد .

مكتبة المثنى ببغداد :

ولها جهد بارز في اعادة طبع الكتب النادرة من تحقيقات المستشرقين والمحققين القدماء بطريقـة التصوير (الأوفست) ، ظهر منها أكثر من خمسين كتابا هاما ، منها : ديوان ذي الرمة ، وفهرست ابن خير ، والبدء والتـاريخ للبلخي ، والآثار البـاقية للبيروني ، وأحسن التقاسيم للبشاري ، والمصاحف لابن أبي داود السجستاني .

وهذا الأسلوب ـ أعني أسلوب الطباعة بالتصوير ـ مع فائدته العاجلة ، يخشى منه ان أسيء استخدامه أن يضع عقبة كأداء أمام من يحاولون اعادة تحقيق هذه الكتب على ضوء مخطوطات أخرى . وبذلك تجمد هذه الكتب على أوضاعهـا القديمـة التي قد تحتاج الى تعديل ، أو اعادة تحقيق . فالأمر في سلامة وضعه موكول الى حسن استخدامه .

لذلك نوجه الدعوة الى جميع من يسيرون في هذا التيار الخطير ـ ولا سيما اخواننا في لبنـان ـ أن يكفكفوا من غلوائهم ، وأن يكون عملهم في حدود ضيقة مبنية على دراسة علمية لا على تخطيط تجاري .

وانا أعلم أن السيد قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى من خير من يستجيب لمثل هذه الدعوة .

المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة :

قام بنشر كثير من الكتب ، منها جامع ابن وهب ، والجمانة في ازالة السرطانه ، وطبقـات الحكماء والأطباء لابن جلجل ، وخطط المقريزي .

المعهد العلمي الفرنسي بدمشق :

قام كذلك بنشر بعض الكتب ، منها كتاب تعبير الرؤيا لحنين بن اسحاق ، وكتاب التوابين لابن قدامة المقدسي ، والمعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي ، وزبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ، وكثير غيرها .

دائرة المطبوعات والنشر بالكويت :

أصدرت وتصدر سلسلة عنوانهـا « التـراث العربي » . وقد بدأت نشاطها سنة ١٩٥٩ فأصدرت مجموعة من روائع التراث ، منها المصون لأبي أحمد العسكري ، ومجـالس العلمـاء للزجاجي وديوان لبيد . ولعل اقوى أعمالها نشر تاج العروس المزبيدي محققا بعناية علماء مختصين تراجعه لجنة فنية من وزارة الارشاد والأنباء بالكويت ، وسيظهر في نحو خمسين جزءا .

المجلس الأعلى للشـئون الاسـلامية بوزارة الأوقاف :

تسهم لجنة احياء التراث التابعة له في نشر طائفة من الكتب ، منها تحرير التحبـير لابن أبي الاصبع ، والمقتضب للمبرد ، وبصائر ذوي التمييز ، وغيرها .

ادارة احياء التراث بوزارة التربية والتعليم :

وقد قامت منذ عهد بنشر ديوان أسامة بن منقذ ، ورفع الاصر لابن حجر ، وتحفة القـادم ، والأيام والليالي والشهور للفراء .

ادارة احياء التراث بوزارة الثقافة والارشاد :

في سنة ١٩٥٨ ضمت الادارة السالفة الى الادارة التي أنشئت بوزارة الثقافة والارشاد . وقامت بنشر بعض الكتب ، منها الشفاء لابن سينا ، وطيف الخيال للشريف المرتضى ، والفاخر للمفضل بن سـلمة ،

والمسلسل فى غريب اللغة لأبى الطيب ، والمعارف لابن قتيبة وذلك فى سلسلة (تراثنا) .

ادارة التأليف والترجمة والنشر :

ثم ضمت الادارة السابقة الى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ثم انتقلت الى شركة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، وخصصت ادارة فيها لاحياء التراث ، فقامت بنشر طائفة من الكتب ، منها تهذيب اللغة للأزهرى ، والمحكم لابن سيده ، وتبصير المنتبه والمغنى للقاضى عبد الجبار ، كما عملت على اعادة طبع بعض الموسوعات التى نشرتها دار الكتب قديما كالأغانى ، والنجوم الزاهرة ، ونهاية الأرب ، وصبح الأعشى . وهى الآن بصدد تكملة ما لم يتم من تلك الموسوعات ، وهى الأجزاء الباقية من الأغانى ونهاية الأرب ، والنجوم الزاهرة. كما أنها أعادت طبع نسخة لسان العرب مصورة عن طبعة بولاق ، ومذيلة بفهارس فنية حديثة ، ولكن هذا الجهد النافع وان يكن معيبا بأنه ينقصه التحقيق العلمى والمراجعة على نسخة ابن منظور المودعة فى دار الكتب ، فانه يدرأ الآن خطر الفراغ الثقافى الذى يشعر به الباحثون اللغويون ، ولكنه لا يعفى المسئولين من وجوب اعادة نشر اللسان فيما بعد محققا تحقيقا علميا ، ومراجعا على الأقل على نسخة المؤلف .

المجلس الأعلى للفنون والآداب :

يحاول جاهدا أن يتبنى نشر طائفة من كتب التراث ، ولديه ثبت بمشروعات لم ينفذ منها الا القليل . ومما صنعه اعادة طبع آثار أبى العلاء المعرى ، المتمثلة فى شروح سقط الزند (خمسة مجلدات) ، وتعريف القدماء بأبى العلاء ، وهذه الآثار قام بتحقيقها منذ سنة ١٩٤٤ لجنة احياء آثار أبى العلاء ، المؤلفة من مصطفى السقا ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد السلام هارون ، وابراهيم الابيارى ، وحامد عبد المجيد ، باشراف الأستاذ الدكتور طه حسين ، وانتهت من مهمتها سنة ١٩٤٨ ووقف مجهود تلك اللجنة عند هذا الحد مع أنه قد بقى شىء غير قليل من آثار أبى العلاء ، والمأمول من المجلس الأعلى أن يتابع تكملة آثار أبى العلاء بتأليف لجنة أخرى شابة تستطيع أن تستوعب تحقيق ما بقى من ذلك التراث ، وتمنحها التفرغ الذى كان متاحا للجنة الأولى ، والفرصة العلمية التى اختارت دار الكتب بين المخطوطات والمراجع مقرا لها للتمكن من أداء عملها على الوجه الأوفق .

ومن المجهودات التى تسجل لهذا المجلس اعادة طبع ديوان زهير ، وديوان الهذليين ، والأصنام لابن الكلبى . ونحن نخشى أن يستمرىء المجلس هذه الطريقة الميسورة فيظل يعيد طبع ما نشر من قبل وتقتصر جهوده على هذا العمل الهين اليسير .

دار القلم :

وقد شعر مديرها محمد المعلم بضرورة استكمال صور النشاط العلمى للدار فى أعلى مجال لها ، وهو مجال تحقيق التراث ، فبدأ بطبع كتاب (سيبويه) ، الذى ظهر منه الجزء الأول من أربعة أجزاء محققا بعناية كاتب هذه السطور . وكذلك شرع فى طبع موسوعه (خزانة الأدب) للبغدادى ، التى تظهر فى ١٢ جزءا متضمنة للفهارس الفنية . كما أن دار القلم قد أسهمت فى تنفيذ اعادة طبع بعض كتب دار الكتب كالأغانى وعيون الأخبار وتفسير القرطبى . وقد علمت أيضا أنها بصدد نشر طائفة من كتب التراث اليمنى الذى لم يسبق طبعه من قبل بمشاركه فروعها التى أنشأتها فى الجمهورية اليمنية .

المؤسسة العربية الحديثة :

وقد بدأت منذ عهد قريب فى نشر بعض كتب التراث ، ويؤمن صاحبها حمدى سيد مصطفى بضرورة الاسهام فى هذه الناحية ، وقد نشر منها أمالى الزجاجى ووقعة صفين ، وجمهرة الأمثال للعسكرى . وقد وضع برنامجا طويلا لتنفيذ نشر بعض كتب التراث لولا أزمة الورق الساحقة التى يئن تحت وطأتها الناشرون .

صحيفة الجمهورية :

وتحاول صحيفة الجمهورية فى أسلوب ميسر — وان يكن غير علمى سليم — أن تقرب كتب التراث الى جمهرة الشعب ، وهو مجهود يشكر وان كان لا يساير أصول التحقيق العلمى ، فكيف تنشر كتاب تجريد الأغانى لابن واصل ، ثم تضع عليه عنوان « كتاب الأغانى » ؟! ومع ذلك لا ينكر لها فضلها فى نشر (كتاب الشعب) الذى ظهر منه صحيح البخارى، وصحيح مسلم ، وأساس البلاغة ، وحياة الحيوان للدميرى ، وغير ذلك . لكن هذه المجهودات كلها محتاجة الى رقابة علمية صارمة .

دار العروبة :

وهى الآن فرع من فروع الدار القومية، وقد بدأت فى سنة ١٩٥٩ فى مشروع لاحياء التراث العربى سمته « كنوز العرب » قياسا على تسمية « ذخائر العرب » لدار المعارف ، وبدأت تلك السلسلة بكتاب (الايضاح فى علل النحو للزجاجى) بتحقيق مازن المبارك ومشروع آخر سمته « كنوز الشعر » نشرت فيه (شرح أشعار الهذليين) بتحقيق عبد الستار فراج .

وعسى أن تتابع الدار القومية الاستمرار فى هاتين السلسلتين اللتين بدأهما أصحابها الأولون .

دار الثقافة ببيروت :

لها سلسلة المخطوطات العربيه ، وبين يدى منها (أشعار الحسين بن الضحاك) جمع وتحقيق عبد الستار فراج .

دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر بالعراق :

ويبدو أنها قد راقتها فكرة « نوادر المخطوطات » التى قمت بنشرها من سنة ١٩٥١ الى سنه ١٩٥٥ فشرعت فى نشر مجموعه مماثلة لتلك سمتها « نفائس المخطوطات » ابتدأت فى نشرها سنه ١٩٥٣ الى سنة ١٩٥٥ ونشرت ١٨ كتابا ورسالة منها كتاب « الأضداد فى اللغة » لابن الدهان النحوى ، وديوان السموأل صنعة نفطويه ، وديوان أبى الأسود الدؤلى . والمجموعه كلها بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

عود الى دار الكتب وأثرها :

ولقد كان للطابع المتميز الذى ظهرت به منشورات دار الكتب أثر بالغ فى اقتداء بعض الأفراد العلماء بذلك النهج السديد . ولقد أدركت عصرا طويلا بعد وفاة أحمد زكى باشا الى سنة ١٩٣٨ لم يكن فيه فى مصر من العلماء من يضع اسمه على كتاب محقق الا (جماعة محدودة لا تكاد تعدهم أصابع اليدين) ، وهم سبعة على وجه التحديد : محب الدين الخطيب ، أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، محمد مصطفى زيادة ، مصطفى السقا ، ابراهيم الأبيارى ، عبد الحفيظ شلبى . والأخيران من هذه الجماعه كانا ممن تمرس بالقسم الأدبى بدار الكتب . فكان القسم الأدبى مدرسة مباشرة وغير مباشرة لكل من مارس التحقيق العلمى من بعد ذلك .

وعلى ضوء مجهودات هذا القسم ومجهودات هذه الجماعة الأولى للمحققين ، وجدنا ثبت أسماء المحققين يزداد يوما بعد يوم ، حتى أصبحوا الآن لا يعدون كثرة فى مصر وفى أنحاء العالم العربى ، نعرف منهم الأسماء التالية مقرونة بذكر أبرز أعمالهم ، ومنهم من حقق أكثر من عشرين كتابا ، ومعظمهم ممن نشر أكثر من كتاب :

فى مصر :

ابراهيم مصطفى (المنصف ، لابن جنى) بالمشاركة

احمد احمد بدوى (ديوان القاضى الفاضل)

أحمد أمين (رسالة حى بن يقظان)

أحمد يوسف نجاتى (المنهل الصافى ، لابن تغرى بردى)

ثروت عكاشه (المعارف ، لابن قتيبة)

جمال الدين الشيال (مفرج الكروب ، لابن واصل)

حامد عبد المجيد (رفع الاصر عن قضاة مصر ، لابن حجر)

حسن كامل الصيرفى (ديوان البحترى)

حسين نصار (ديوان سراقة البارقى)

خليل عساكر (تشحيذ الأذهان برحلة بلاد العرب والسودان ، لمحمد بن عمر التونسى)

زكى حسن (المغرب لابن سعيد) بالاشتراك مع غيره .

السيد أحمد صقر (اعجاز القرآن ، للباقلانى)

سليمان دنيا (تهافت الفلاسفة ، للغزالى)

شوقى ضيف (المغرب ، لابن سعيد)

طه الحاجرى (البخلاء)

طه حسين (اشراف ومشاركه فى نشر لزوم ما لا يلزم)

عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطىء (رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى)

عبد الحليم النجار (المحتسب ، لابن جنى) بالمشاركة

عبد الخالق عضيمة (المقتضب ، للمبرد)

عبد الرحمن بدوى (الاشارات الالهية ، لأبى حيان التوحيدى)

عبد الستار فراج (شرح أشعار الهذليين للسكرى)

عبد العزيز أحمد (التصحيف والتحريف ، للعسكرى)

عبد العزيز الأهوانى (المقتطف من أزاهير الطرف ، لابن سعيد المغربى)

عبد العزيز مطر (تثقيف اللسان لأبى حفص الصقلى)

عبد العليم الطحاوى (الفاخر ، للمفضل بن سلمة)

عبد الفتاح الحلو (التمثيل والمحاضرة ، للثعالبى)

عبد الفتاح شلبى (الابانة ، لمكى بن أبى طالب) .

عبد القادر القط (الذخيرة لابن بسام) بالمشاركه

عبد الله أمين (المنصف ، لابن جنى) بالمشاركة

عبد الوهاب عزام (الورقة ، لابن الجراح) بالمشاركة

أبو العلا عفيفى (نصوص الحكم ، لابن عربى)
على سامى النشار (ديوان أبى الحسن الششترى)
على عبد العظيم (ديوان ابن زيدون)
على عبد الواحد وافى (مقدمه ابن خلدون)
على محمد البجاوى (زهر الآداب ، للحصرى)
فؤاد سيد (طبقات فقهاء اليمن ، لابن سمرة الجعدى)
محمد أبو الفضل ابراهيم (انباه الرواة، للقفطى)
محمد حفنى شرف (تحرير التحبير ، لابن أبى الاصبع)
محمد خلف الله أحمد (ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن للرمانى والخطابى والجرجانى) بالاشتراك
محمد زغلول سلام (ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن للرمانى والخطابى والجرجانى) بالاشتراك
محمد عبد الجواد (شجر الدر ، لأبى الطيب اللغوى)
محمد عبد الغنى حسن (حلية الفرسان ، لابن هذيل الأندلسى)
محمد عبد الله عنان (الاحاطة فى أخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب)
محمد عبده عزام (ديوان أبى تمام)
محمد على النجار (الخصائص ، لابن جنى)
محمد محيى الدين عبد الحميد (شرح الحماسة للتبريزى)
محمد مصطفى (بدائع الزهور ، لابن اياس)
محمد مصطفى هدارة (سرقات أبى نواس ، لمهلهل بن يموت)
محمود الطناحى (النهاية ، لابن الأثير)
محمود محمد شاكر (طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام)

فى سوريا :

ابراهيم الكيلانى (الصداقة والصديق لأبى حيان)
أحمد راتب النفاخ (ديوان ابن الدمينة)
خليل مردم (ديوان ابن عنين)
سامى الدهان (ديوان أبى فراس)
سعيد الأفغانى (شرح الأبيات المشكلة الاعراب، للحسن بن أسد الفارقى)
شكرى فيصل (الخريدة : قسم الشام)
صالح الأشتر (أخبار البحترى ، للصولى)
صلاح الدين المنجد (السير الكبير ، للسرخسي)

عبد الكريم الأشتر (ديوان دعبل)
عز الدين التنوخى (الاتباع والمزاوجة ، لأبى الطيب اللغوى)
عزت حسن (ديوان تميم بن مقبل)
محمد أسعد طلس (ديوان ابن أبى حصينة)
محمد كرد على (الأشربة ، لابن قتيبة)

فى فلسطين :

محمد يوسف نجم (ديوان أوس بن حجر)
احسان عباس (ديوان لبيد)

فى الأردن :

ناصر الدين الأسد (ديوان قيس بن الخطيم)

فى العراق :

أحمد مطلوب (التبيان فى اعجاز البيان ، لابن الزملكانى)
أحمد ناجى القيسى (شرح أشعار هذيل ، لابن جنى)
خضر الطائى (ديوان العرجى) بالمشاركة
خليل ابراهيم العطية (ديوان مزرد بن ضرار)
رشيد الصفار (ديوان الشريف المرتضى)
رشيد العبيدى (ديوان العرجى) بالمشاركة
عاتكة الخزرجية (ديوان العباس بن الأحنف)
كوركيس عواد (الديارات للشابشتى)
محمد بهجة الأثرى (الخريدة : قسم العراق)
محمد جبار المعيبد (ديوان عدى بن زيد العبادى)
محمد حسن آل ياسين (نفائس المخطوطات) ١٥ كتابا ورسالة
مصطفى جواد (تلخيص مجمع الآداب ، لابن الفوطى)
ميخائيل عواد (رسوم دار الخلافة)

فى السعودية :

أحمد عبد الغفور عطار (صحاح الجوهرى) بالمشاركة
حمد الجاسر (تعقيبات واستدراكات لطائفة من كتب التراث)

فى اليمن :

القاضى محمد الأكوع (قرة العيون ، فى تاريخ اليمن الميمون ، لابن الديبع)

فى ليبيا :

طاهر بن أحمد الزاوى (التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ، لابن غلبون)

فى تونس :

حسن حسنى عبد الوهاب (رحلة التيجانى)

الطاهر بن عاشور (ديوان بشار بن برد)

فى الجزائر :

محمد بن شنب (الجمل للزجاجى)

فى المغرب :

عبد الله جنون (اخبار الملوك الشرفا ، للمراكشى)

علال الفاسى (الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون)

محمد بن تاويت الطنجى (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا)

فى السودان :

عبد الله الطيب (شرح أربع قصائد لذى الرمه)

فى ايران :

محمد غفرانى الخراسانى (الأدب الوجيز ، المولد الصغير ، لابن المقفع)

فى الهند وباكستان :

السيد محمد يوسف (حماسة الخالديين)

عبد الحق المدراسى (ديوان ابن سناء الملك)

عبد العزيز الميمنى الراجكونى (سمط اللآلىء ، لأبى عبيد البكرى)

عبد القدوس الأنصارى (تلخيص مجمع الآداب ، لابن الفوطى)

محمد بدر الدين العلوى (المختار من شعر بشار للخالديين مع شرحه لأبى الطاهر التجيبى)

محمد حميد الله (أنساب الأشراف ، للبلاذرى)

يوسف حسين (الاختياران ، للأصمعى)

فى تركيا :

فؤاد سزكين (مجاز القرآن لأبى عبيدة)

استمرار جهود المستشرقين :

والى جانب هذه الجهود العربيه والشرقية ، لا نزال نلمس صنيع اخواننا المستشرقين المعاصرين فى خدمة التراث العربى ، ونذكر من أفاضلهم — وهم كثيرون :

١ ـ أ. ليفى. بروفنسال الفرنسى (توفى سنة ١٩٥٦) . حقق طائفة من الكتب من ألمعها (كتاب نسب قريش لمصعب الزبيرى)

٢ ـ أمبرتو رتزيتانو الايطالى (ديوان الفنلوبى الصقلى)

٣ ـ انس خالدوف الروسى (المنازل والديار لأسامه بن منقذ)

٤ ـ أوسكار لوفجرين السويدى (الاكليل للهمدانى ج ١ ، ٢)

٥ ـ ايفان فاجنر الألمانى (ديوان أبى نواس)

٦ ـ الآنسة ايلزة ليختن شتيتر الأمريكية (كتاب المحبر لابن حبيب)

٧ ـ شارل بلات الفرنسى ، له نشاط ظاهر فى نشر كتب للجاحظ ، منها (البغال) ، و (التربيع والتدوير) ، و (الجوارى والغلمان)

٨ ـ شارل كونيس الفرنسى ، يقوم الآن بتحقيق (كتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى)

٩ ـ كراتشكوفسكى الروسى ، المتوفى سنة ١٩٥١ له ما يربو على أربعمائه وخمسين أثرا بين مصنف ومترجم ومفسر ومنقود باللغات الروسية والفرنسية والألمانية والعربية ، ومن تحقيقاته (الأخبار الطوال للدينورى) ، و (طبقات الشعراء لابن المعتز) ، و (كتاب البديع لابن المعتز)

١٠ ـ الأب هوبن الهولندى ، له (المجموع المحيط بالتكليف ، للقاضى عبد الجبار)

أثر النقد فى استقامة منهج تحقيق التراث :

ان متابعة النقد لما يظهر محققا من كتب التراث كانت ذات أثر فعال فى تقويم منهج النشر. وهنا أنوه بالجهد البارع الذى بذلته الاستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن فى نقد طائفه كبيرة من منشورات

التراث نقدا منهجيا وموضوعيا وتوجيهيا ، اضمحل على اثره ذلك العبث الذى كان يمارسه بعض ناشرى التراث .

كما أنوه بجهد الأساتذة : حمد الجاسر ، والسيد صقر ، ومحمد عبد الغنى حسن ، وشوقى ضيف ، وعبد الستار فراج ، وعبد العزيز مطر ، وعبدالفتاح الحلو ، ومصطفى جواد ، ومحمد جبار المعيبد وغيرهم .

ولست أنسى أن أحيى ذكرى كل من الأب أنستاس مارى الكرملى ، والدكتور بشر فارس اللذين كانت لهما مشاركة فعالة فى هذه الناحية .

ولئلاأغمط نفسى حقها أذكر أن كاتب هذه السطور كانت له جولات طويلة فى هذه الحركة النقدية التى لا بد من استمرارها للاسهام فى تقويم الأخطاء والمناهج المنحرفة ، والرقابة الواجبة للحفاظ على هذه الأمانة الغالية .

كلمة أخيرة :

هذه صورة موجزة جدا لتلك الحركة الدائبة التى لا تزال تخدم التراث العربى ، وتحاول مجتمعة حينا ومفترقة أحيانا أن تنبش كنوز هذا التراث العربى الاسلامى الخالد ، وتستخرج اللؤلؤ من أصدافه .

ولا يزال محققو التراث ، وهم المجاهدون المكافحون حقا ، فى حاجة ملحة الى تيسير مهمتهم الشاقة الناصبة . فانى أعلم تمام العلم وقد مارست هذا الفن أكثر من أربعين عاما متتالية ، تمكنت فيها بالخبرة والمعالجة من تأليف أول كتاب عربى فى هذا الفن ، وهو (تحقيق النصوص ونشرها) ، أقول : أنى أعلم مقدار الصعوبات التى تكتنف هذا الجهاد المضنى من عنت بعض الناشرين ، وعنت بعض الهيئات الرسمية وشبه الرسمية ، ومن صعوبة الحصول على المخطوطات ، أو مصوراتها التى ترهق تكاليفها هذه الطائفة المستبسلة ، كما ترهقهم اجراءات الحصول عليها من ندرة ورق التصوير وأفلامه ومضاعفة أثمان ذلك الى أربعة اضعاف ما كان عليه الى وقت قريب جدا ، هذا الى العقبات الشديدة التى تعترض سبيل النشر من أزمات المطابع وندرة ورق الطبع وأدواته .

وهذا أمر جدير بأن يجد من أولى الأمر عناية عاجلة ، تزيل شكوى المحققين الذين جندوا أنفسهم فى هذا الميدان طوعا ، لخدمة العروبة التى هى الرباط الأسمى بين الشعوب العربية ، ولمحاولة التحرر من اسار الاستعمار الثقافى الذى لا تزال بقايا منه جاثمة على عقول بعض المفتونين بالأفكار المستوردة من خارج الاطار العربى الأصيل .

وان هناك أمورا أخرى لا يجد العلماء المحققون مجالا لبسطها والافصاح عنها الا عند كبار المسئولين ، فان هناك أخطاء واساءات صارخة تجافى الذوق ، يتعرض لها هؤلاء السادة من أولئك الذين لا يحسنون تقدير العلماء . وان هناك هضما ظالما لحقوق النشر فى كبريات دور النشر ، ومنها (دار المعارف) ، (ادارة التأليف والترجمة والنشر) . وهناك أيضا مشكلة الضرائب التى يأمل فى حلها المحققون والمؤلفون .

وانى اذ أهدى هذا البحث التاريخى الذى يصور هذه الناحية الثقافية الخطيرة الى الأستاذ الجليل وزير الثقافة (الدكتور سليمان حزين) ، وأنا أعلم عنه الكثير من الاهتمام بأمورنا الثقافية ـ أرجو أن يولى هذا الأمر الخطير ما هو جدير به من علاج سريع يتيح لتلك الانطلاقة العارمة أن تجد مجراها مذللا ميسرا ، محفوفا بالاعزاز والتقدير ، فقد كاد غيرنا ممن لا يحسن هذا الأمر أن يحتل مكاننا هذا المرموق ، وأن ينتزع منا مجدا بنيناه بالكفاح الصادق ، والجهاد الطويل .

